دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	كتاب حروف المعاني : في تحقيق نسبته و عنوانه
المصدر:	مجلة مجمع اللغة العربية الاردنى - الأردن
المؤلف الرئيسي:	حمزة، حسن
المجلد/العدد:	مج 14, ع 38
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1990
الشهر:	حزيران / شوال
الصفحات:	211 - 239
رقم MD:	159152
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	تحقيق التراث، الزجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق ، ت. 337 هـ، كتاب حروف المعاني، معاني الألفاظ، النحو، الإعراب، مدرسة الكوفة النحوية، مدرسة البصرة النحوية، اللغة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/159152

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

كتاب
حروف المعاني
في تحقيق نسبته وعنوانه

د. حسن حمزة
جامعة السوربون / ليون - فرنسا

صدر منذ أربع سنوات كتاب «حروف المعاني»(١) لأبي القاسم الزَجّاجي(٢). وقد اعتمد محقق الكتاب في عمله على نسخة محفوظة في مكتبة «لالـلي ٣٧٤٠»، مجاميع، موجودة في المكتبة السليمانيـة في استانبـول(٣)، فبذل جهـدا مشكورا في إخراج النص وفي التعليق عليه.

---

(١) ابو القاسم الزجاجي: كتاب حروف المعاني، حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد، منشورات مؤسسة الرسالة (بيروت)، ودار الأمل (اربد)، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ. / ١٩٨٤م» ويقع الكتاب في سبع وثمانين صفحة. وقد ذيل بفهارس في خمس واربعين صفحة، وصدر بمقدمة في ستين صفحة. وسوف نحيل على الكتاب بذكر الصفحة، وعلى مقدمة محقق الكتاب بذكر المقدمة ورقم الصفحة.

(٢) هو ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المنسوب الى شيخه الزجاج. لا تذكر المصادر التي بين ايدينا شيئا عن ولادته، وارجح انها تقع في حدود اعوام ٢٧٠هـ - ٢٧٥هـ. /٨٨٤م. - ٨٨٩م. (انـظر: حسن حمـزة: Les theories grammaticales d az - ZAGGAGI «النـظريـات النحـويـة للزجاجي»، ص ٣٥ - ٣٦) اما وفاته فذكر ابن خلكان انه «توفي في رجب سنة سبع وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل في شهر رمضان سنة اربعين، والأول اصح» (وفيات الأعيان، ١/٣١٧). انظر ترجمة وافية له في دراستنا المشار اليها اعلاه، الجزء الأول، ص ٣٤ - ٩٦، وفي كتاب مازن المبارك: الزجاجي، حياته وآثاره، دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

(٣) مقدمة حروف المعاني ص ٥٠

غير انني نظرت في الكتاب المنشور فوجدت فيه خللاً يحتاج الى اصلاح، ومواطن لم يهتد فيها محققه الى ما أظنه الحقَ ـ والحق احقُ بأن يُتَّبعَ ـ فكتبت هذا البحث، وقصرته على نقطتين:

الأولى : تحقيق نسبة الكتاب الى الزجاجي

والثانية : تحقيق عنوان الكتاب.

أولا : في تحقيق نسبة الكتاب:

جاء في الورقة التي تحمل عنوان المخطوط:

«كتاب فيه حروف المعاني لابي اسحاق الزجاجي ولغيره»

فتوقف محقق الكتاب امام مسألتين يثيرهما هذا العنوان:

ـ الأولى قوله: «لأبي اسحاق الزجاجي»

ـ والثانية قوله: «ولغيره»

اما عن المسألة الأولى فكتب ما يلي:

«ذكر بروكلمان هذا الكتاب ضمن مصنفات الزجاج، ولعل هذا الوهم يعود الى ان الورقة التي تحمل العنوان، وتسبق الورقة الأولى من المخطوطة، جاء فيها:

«كتاب فيه حروف المعاني لأبي اسحاق الزجاجي ولغيره»

فقد وقع الخطأ في الكنية في قوله «لأبي اسحاق» فأوهم ذلك ان الكتاب للزجاج ـ لأنه هو ابو اسحاق ـ اما الزجاجي **فكُنْيَتُه** ابو القاسم (. . .) ولم تذكر كتب التراجم الأخرى هذا الكتاب للزجاج، بل ذكرته ضمن مصنفات **الزجّاجي**.

ومما يؤيد نسبة الكتاب الى الزجاجي أيضا، ما جاء في الورقة الأولى من المخطوطة، فقد جاء في مقدمتها:

«قال ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي رحمة الله عليه»(١)

وقد اصاب محقق الكتاب في المسألة الأولى، فالمؤلف المقصود في ورقة العنوان

---

(١) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٦

هو الزجاجي، لا الزجاج. وقد قدم عددا من الادلة يكفي لاثبات ذلك. كما انه اصاب في ملاحظته ان قوله: «لأبي اسحاق» يوهم ان المقصود هو الزجاج. وقد اشار الى ان بروكلمان قد ذكر هذا الكتاب ضمن مصنفات الزجاج، وذلك صحيح. الا انه ينبغي ان يقال ـ احقاقا للحق ـ ان العودة الى ما كتبه بروكلمان تدل على انه لم يقطع بنسبته اليه، فهل يقول في حديثه عن مؤلفات الزجاج:

«٦ ـ حروف المعاني: لاللي ٣٧٤٠ رقم ٧ (هكذا يذكر رشر في Abriss 155 ثم يضيف:

«على حين نسبه في Mo VII, IO 7 الى الزجاجي، وتابعناه على ذلك في الذيل ١: ١٧١»(١)

وقد نقل محقق «حروف المعاني» هذا النص(٢)، ولكنه اغفل ما ذكره بروكلمان نفسه بعد صفحتين فقط في ترجمته للزجاجي، فقد ذكر بين مصنفاته:

«٤ ـ حروف المعاني: لاللي ٣٧٤٠ (انظر MFO VII, IO7)»(٣) فأحال على المخطوطة نفسها وهي المخطوطة التي كان قد ذكرها ضمن مصنفات الزجاج.

اما ما ذكره محقق الكتاب من خطأ في الكنية في قوله: «لأبي اسحاق الزجاجي» **لأن الزجاجي كنيته ابو القاسم، فربما لا يكون خطأ في الكنية، كما قال(٤)، اذ يجوز ان يكون قد وقع تصحيف في قوله:**

«لأبي اسحاق الزجاجي ولغيره»

يراد به: «**لابن** اسحاق الزجاجي ولغيره».

لأن الزجاجي هو عبد الرحمن بن اسحاق، فيكون **الناسخ** قد كتب «لأبي» مكان «لابن» لأن صورتي الكلمتين متقاربتان.

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، ص ١٧٢ ـ ١٧٣

(٢) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٦، الحاشية رقم ٢

(٣) تاريخ الأدب العربي الجزء الثاني، ص ١٧٥

(٤) تقدير الخطأ في الكنية يقتضي التلفيق بين كنية ابي اسحاق الزجاج ولقب ابي القاسم الزجاجي.

أما المسألة الثانية التي يثيرها العنوان بقوله: «ولغيره» فقد كتب عنها محقق الكتاب ما يلي:

«فقوله «لغيره» يثير الوهم. ولكني لا ارى هذا الوهم صحيحا أو يصمد أمام ما اوردته كتب الترجمة الكثيرة التي ترجمت للرجلين، والتي ذكرت هذا الكتاب ضمن مصنفات الزجاجي. وكذلك فان هذا الوهم يتلاشى امام النقد الداخلي، والنظر في نص الكتاب ومضمونه. من ذلك:

- انني نظرت في مواضع كثيرة في كتب ابي اسحاق الزجاج - التي طبعت ووصلت الينا - فلم اعثر على تشابه بين ما في هذا الكتاب وما ورد في تلك الكتب (...).
- التوسع في بحث اللام (...).
- التوافق بين ما أورده الزجاجي في هذا الكتاب وما اورده في كتابه «الجمل في النحو (...).
- موافقة بعض آراء الكتاب لاراء الكوفيين (...) ونحن نعلم ان الزجاجي - لا الزجاج - هو الذي كانت ثقافته خليطا من المدرستين (...).
- موافقة ما جاء في الكتاب «حروف المعاني» وما جاء في كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة (...) ومعلوم ان ابن قتيبة كانت آراؤه موافقة للكوفيين. ولم يكن الزجاج يتابع الكوفيين او من شايعهم (...).
- زيادة ان المكسورة الخفيفة بعد «لما»(...).
- انفراده - تقريبا - بايراد بيت الشعر التالي (...).
- نحس في هذا الكتاب روح ابي القاسم الزجاجي(١).

هذه هي حجج محقق الكتاب. وانت ترى فيها انه يصرف همه لاثبات ان **الكتاب للزجّاجي، وليس للزجاج. غير ان عنوان المخطوط:**

«كتاب فيه حروف المعاني لأبي اسحاق الزجاجي ولغيره»

يثير - في نظرنا - مسألتين مختلفتين تستحقان الدراسة:

---

(١) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٧ - ٤٩

١ ـ الكتاب للزجاجي أو لغيره (الزجاج).

٢ ـ الكتاب للزجاجي ولغيره.

ويبدو ان محقق الكتاب لم يستطع الخلاص من المسألة الأولى، ولذلك فهو عندما ينتقل لمعالجة المسألة الثانية: «للزجاجي ولغيره»، يظل ـ في حقيقة الأمر ـ غارقا في المسألة الأولى، يلح في دراستها حتى النهاية فيغفل المسألة الثانية ولا يدرس احتمال ان يكون المخطوط للزجاجي ولمؤلفين آخرين، كما تشير اليه ورقة العنوان. ويبدو ان هذه الفكرة ما خطرت قط بباله، فانحصر موضوع المناقشة عنده في نسبة الكتاب ألى الزجاجي او الى غيره، بصفة عامة، والى الزجاجي او الزجاج، بصفة خاصة.

اما ظاهر العنوان فيشير الى الزجاجي والى مؤلف آخر او مؤلفين آخرين ولا يلزم من هذا القول ان يكون الزجاجي قد اشترك في تصنيف الكتاب مع مؤلفين آخرين، كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة، فذلك امر غريب في زمان الزجاجي. وانما يلزم منه ان يكون المخطوط قد جمع بين دفتيه ما كتبه الزجاجي عن معاني الحروف(١) وما كتبه غيره. ولا يلزم من هذا القول ان يكون المخطوط قد جمع اشتاتا متفرقة وضع بعضها بازاء بعض، فنسج منها كتاب. وانما يلزم منه الا يكون ما في المخطوط خالصا للزجاجي.

ذكر ابن خير في فهرسته(٢) ان الزجاجي ألف كتابا في «معاني الحروف» وانا أزعم ان هذا الكتاب كان اساس المخطوط الذي نشر باسم «حروف المعاني»، فهو كالأصل له. ثم اضيف الى هذا الأصل اضافات اخذت من غيره. وعلى ذلك يكون **الكتاب المطبوع للزجّاجي ولغيره كما تذكر ورقة عنوان المخطوط.**

ان مناقشة مضمون الكتاب المطبوع تدل على ان ما ذكرته هذه الورقة لم يكن **وهما، وان بعض الادلة التي استخدمها محقق الكتاب للقطع بنسبته الى الزجّاجي لا تحقق غرضه، بل هي ادلة على ان بعض ما جاء فيه لغير الزجاجي. فما اضيف الى**

---

(١) سنناقش عنوان الكتاب في القسم الثاني من هذا البحث.

(٢) ص ٣١٩

الكتاب الذي ألفه الزجاجي يمكن أن يبحث في ثلاثة عناوين رئيسة:

١ ـ باب الصفات:

جاء في الورقة الأخيرة من المخطوط:

«تم كتاب حروف المعاني والصفات (١).

و «الصفة» مصطلح غريب عن مصطلحات الزجاجي. يقول مهدي مخزومي ان حرف الصفة:

«عبار كوفية، يعني بها الكوفيون حروف الخفض» (٢)

وهو في هذا يتابع السيوطي الذي يقول ان الكوفيين يسمون حروف الجر:

«حروف الاضافة (. . .) وحروف الصفات لأنها تحدث صفة في الاسم (. . .) وقيل لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات» (٣).

أما الزجاجي فينسب مصطلح الصفة الى الكسائي (١٨٧هـ. /٨٠٣م.) الذي:

«يسمى الحروف الخافضة والظروف كلها الصفات» (٤).

وما جاء في الورقة الأخيرة من المخطوط من قوله: «والصفات» صدى لموضوعات القسم الأخير منه. وقد لاحظ محقق الكتاب «نقطة جديرة بالتسجيل، وهي التوافق الواضح بين ما جاء في آخر هذا الكتاب، وما جاء في كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة، اذ يكاد يكون حديثه عن «دخول حروف الجر مكان بعضها» منقولاً بحروفه عن ابن قتيبة» (٥).

والكلام كما قال. الا ان ما وضعه بين مزدوجين من «دخول حروف الجر مكان بعضها» ليس عنوانا من عناوين كتاب «حروف المعاني». ولو انه ذكر العنوانين اللذين

---

(١) حروف المعاني، ص ٨٧

(٢) مدرسة الكوفة، ص ٣١٤

(٣) همع الهوامع، الجزء الثاني، ص ١٩

(٤) كتاب اللامات، ص ٥٢

(٥) مقدمة حروف المعاني، ص ٣٠

وردا في كتاب «ادب الكاتب» لابن قتيبة، وهما: «بسب دخول بعض الصفات على بعض»، و «باب دخول بعض الصفات مكان بعض»(١)، لكان كلامه اقرب الى الصواب، ولفسر مجيء عبارة «والصفات في ذكر تمام المخطوط. الا انه قال:

«وربما جاء هذا التوافق من تأثر الزجاجي واهتمامه بكتاب ابن قتيبة، ولعل ما يؤيد ذلك ان الزجاجي صنف كتابا في شرح خطبة «ادب الكاتب»(٢).

بل انه مضى الى ابعد من ذلك حين رأى في توافق ما جاء في الكتابين دليلا على نسبة «حروف المعاني» الى الزجاجي، فقال:

«ومعلوم ان ابن قتيبة كانت آراؤه موافقة للكوفيين. ولم يكن الزجاج يتابع الكوفيين او من شايعهم، وما في كتابنا هذا يقرر نقيض ذلك، مما يبعد احتمال نسبة الكتاب الى الزجاج او نفيها (كذا)، ويؤكد نسبته الى الزجاجي»(٣)

لقد وضع محقق الكتاب نفسه امام خيارين لا ثالث لهما: فاما ان يكون الكتاب للزجاج، واما ان يكون للزجاجي. فاذا بطل ان يكون للزجاج لما فيه من صلة بكتاب «ادب الكاتب» لابن قتيبة المعروف بكوفيته، فهو للزجاجي. وهذه النتيجة محكومة ببداياتها، فلقد قيد محقق الكتاب نفسه، ورسم الاطار الذي يتحرك فيه فلا يستطيع ان يتخطاه. ولذلك لم يستطع ان يرى في الحديث الذي «يكاد يكون منقولا

---

(١) ادب الكاتب، ص ٥٣٤ و ٥٣٦

(٢) شرح الزجاجي خطبة «ادب الكاتب» لابن قتيبة. الا ان هذه الخطبة لا تمت الى كتاب حروف المعاني بصلة او سبب. ومن ينعم النظر فيها ير ان الزجاجي لم يتابع ابن قتيبة فيها، ولم يذهب مذهبه. بل انه يسفه رأيه حينا (ورقة ٣٣)، ويحط من شأن كتبه حينا اخر (ورقة ٤١ ظهر). ولا تقدم خطبة «ادب الكاتب» للزجاجي - في غالب الأحيان - سوى عناوين الموضوعات التي سيدرسها. انظر على سبيل المثال شرح الزجاجي لـ «اما» (ورقة ٢ وجه - ورقة ٧ ظهر)، وليس في ادب الكاتب عن هذا الموضوع سوى قوله: «اما بعد»، وشرح الزجاجي للمساحات، وهو شرح طويل (ورقة ٥٧ وجه - ورقة ٦٩ ظهر) وليس في مقدمة ادب الكاتب عن هذا الموضوع سوى قوله: «ولا بد له، يعني الكاتب، من نظره في الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث الحاد والمنفرج ومساقط الاحجار والمربعات المختلفات والقسي والمدورات».

(٣) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٨.

بحروفه عن ابن قتيبة»(١) دليلا على اضافة هذا الباب الى كتاب حروف المعاني، فيكون الكتاب ـ كما جاء في ورقة العنوان ـ للزجاجي ولغيره، فَعَدَّ ذلك «توافقا»، وعزاه الى تأثر الزجاجي بابن قتيبة. غير ان عشرات الشواهد التي وردت بتسلسلها وشروحها في الكتابين تشهد ان ما بينهما يتعدى نطاق التأثر. ولو تأثر الزجاجي بابن قتيبة في هذا المقام لذكره كما ذكر الخليل وسيبويه والفراء وغيرهم، انما هو النقل بعينه» وسنمثل لهذا النقل بمثال واحد هو «باب دخول بعض الصفات على بعض»، وسننقل هذا الباب بحروفه عن كتاب «ادب الكاتب»، ونضع بين حاصرتين ما سقط منه في كتاب «حروف المعاني»(٢):

«تدخل «من» على «عند». تقول: «جئت من عندك»، وتدخل(٣) على «على»(٤) أنشد الكسائي:

باتَتْ(٥) تنوشُ الحوضَ (نوشا) من على ... نَوشاً بِه تَقْطعُ أجوازَ الفلا

وتدخل على «عن» قال ذو الرمة:

إذا نَفَحَتْ مِن عن يمين المَشارقِ

. . .

(وقال القطامي:)

. . . ... مِن عن يمين المحيّا نظرَةٌ فَبلُ

(قال) وتقول: «كنت مع اصحاب لي فأقبلتُ من مَعَهم»، و«كان معها فانتزعْتُه مِنْ مَعَها».

---

(١) مقدمة حروف المعاني، ص ٣٠

(٢) لا يتسع المجال هنا لمقارنة نصوص الكتابين، ولذلك نكتفي بهذا المثال، ونحيل القارىء عليهما (انظر حروف المعاني صص ٦٥ ـ ٦٦ وصص ٧٤ ـ ٨٧، وأدب الكاتب بتحقيق ماكس جرينر صص ٥٣٤ ـ ٥٤٧، وبتحقيق محمد الدالي صص ٥٠٣ ـ ٥٢٠).

(٣) زيادة «من» في حروف المعاني.

(٤) زيادة «و» في حروف المعاني.

(٥) ورد هذا البيت في «الابدال والمعاقبة والنظائر» للزجاجي كما يلي:

فهي تنوش الحوض نوشا من علا

واختلاف رواية البيت يعزز الاعتقاد بأن ما في حروف المعاني منقول عن ادب الكاتب.

(وقال الكسائي : سمعت بعض العرب يقول : «اخذته من كم كان ذاك»(١))
قال سيبويه : العرب تقول : «جِئتُ مِن عليه» كقولك : «من فوقِه» ، و «جئتُ مِن معه» كقولك : «من عنده» .

(وقال مزاحم
عَـدَتْ مِن عليـه بعـدمـا تَمَّ ظمؤُهـا تصِـلُّ وعن قيضٍ ببيـداءَ مجهَـلِ)

وقال الكسائي : «مِن» تدخل على جميع حروف الصفات الا على الباء واللام (و«في» . وقال الفراء : ولا تدخل ايضا عليها نفسها . قال) وانما امتنعت العرب من ادخالها على الباء واللام (لانهما قلتا فلم يتوهموا فيهما الأسماء) لأنه ليس من اسماء العرب اسم على حرف(٢) . وادخلت على الكاف لأنها في معنى مثل ، (والباء تدخل على الكاف)(٣)

قال الشاعر :

وَزَعتُ بِكَالهراوةِ اعوجيّ اذا وَنَتِ الركِابُ جرَى وِثابا

وقال امرؤ القيس :

ورُحْنا بِكَابْنِ الماء يُجنب وسْطنا تَصَوَّبُ فيه العينُ طورا وترتقي

كأنه قال(٤) : «بِمِثْلِ ابنِ الماء» . وانشد سيبويه :

. . . وصالياتِ ككما يُؤْثفينَ

فأدخل الكاف على الكاف . وانشد القاسم بن معن :

على كالخنيفِ السَّحقِ يدعو به الصدى»(٥) .

---

(١) اضاف «و» في حروف المعاني . واسقط قول الكسائي لأنه ليس موضع الشاهد هنا .
(٢) اضاف «واحد» في حروف المعاني .
(٣) يبدو ان هذه العبارة «والباء تدخل على الكاف» سقطت سهوا من حروف المعاني . وقد أسقطها ناسخ المخطوط او ناقل النص عن كتاب ادب الكاتب ، فموضع الشاهد في البيتين التاليين انما هو دخول الباء على الكاف ، كما جاء في ادب الكاتب .
(٤) في حروف المعاني «اي»
(٥) أدب الكاتب ، صص ٥٣٤ ـ ٥٣٦ في النسخة التي حققها ماكس جرينر ، صص ٥٠٣ ـ ٥٠٥ في النسخة التي حقّقها محمد الدالي .

يبدو واضحا من خلال هذا النص ان كتاب حروف المعاني ينقل حرفيا عن كتاب ادب الكاتب، فهو لا يغير فيه، ولا يضيف اليه شيئا، ولكنه قد يختصر منه شاهدا، او يسقط منه عبارة. والخلافات الطفيفة بين النسختين مما نجده في النسخ المختلفة للكتاب الواحد. اما «باب دخول بعض الصفات مكان بعض» في كتاب ادب الكاتب فلم يُنقل بأكمله في كتاب حروف المعاني، وانما اخِذت بعضُ اجزائه. وربما يعود ذلك الى ان «الصفات» قد وردت فيه مبعثرة دون ترتيب، فهو لا يأخذ حرفا فيعدد جميع الحروف التي يدخل مكانها، او جميع الحروف التي تدخل مكانه، بل يقفز من حرف الى حرف دون رابط فيقول:

«في» مكان «على» (. . .) و
«الى» مكان «في» (. . .)
«على» مكان «عن». الخ. (١).

وقد اخذت بعض اجزاء «باب دخول بعض الصفات مكان بعض» من ادب الكاتب، ورُتبت في كتاب حروف المعاني حيث يُذكر الحرف الواحد وتعُدد الحروف التي يدخل هذا الحرف مكانها، فيقال ـ على سبيل المثال:

«الى» مكان «في» (. . .)
«الى» مكان «عند» (. . .)
«عن» مكان «على» (. . .)
«عن» مكان «بعد» (. . .)
«عن» مكان «من اجل» الخ. (٢)

وربما كان هذا التوزيع الجديد لبعض اجزاء «باب دخول بعض الصفات مكان بعض» هو الذي اوهم ان ما بين الكتابين: كتاب ادب الكاتب وكتاب حروف المعاني، انما هو توافق او تأثر، وهو في الحقيقة نقل لا يُذكر مصدره. وما كان الزجاجي لينقل بابين من كتاب ادب الكاتب ثم يدعيهما لنفسه.

---

(١) ادب الكاتب، صص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ بتحقيق ماكس جرينر.
(٢) حروف المعاني، صص ٧٩ ـ ٨٠.

٢ ـ باب اللام :

من بين الادلة التي يستند اليها محقق كتاب حروف المعاني لاثبات نسبته الى الزجاجي :

«التوسع في بحث «اللام» في هذا الكتاب توسعا يلفت النظر، اذا قارناه ببحثه الادوات الاخرى. فاذا ما تذكرنا اهتمام الزجاجي باللامات في هذا الكتاب، وافراده كتاباً خاصاً باللامات، تعزز اعتقادنا ان الكتاب للزجاجي لا لغيره»(١).

وأقول: ان الحديث عن «اللام» في حروف المعاني ليس للزجاجي، وانما هو «لغيره». والادلة على ذلك كثيرة سأكتفي بدليلين منها.

أ ـ الدليل الأول:

يبدأ باب اللام في حروف المعاني كما يلي :

«اللام: تكون للملك والاستحقاق والاختصاص والأمر. وقال غيره(٢): اللامات المعنوية في الكلم على ثلاثة أقسام: الخ.»(٣).

فَدَلَّ قوله: «وقال غيره» على ان الكلام لغير الزجاجي. وقد لاحظ محقق حروف المعاني هذه العبارة فعلق عليها في الحاشية:

«لعل كلاما سقط قبل هذه العبارة، لان السياق يشير الى ان المصنف ذكر قولا لاحد النحويين ثم اتبعه هذه العبارة»(٤).

وتعليقه يبطل استدلاله، لأن الحديث عن اللام يكون حينئذ لنحوي آخر، فلا يصح الاستدلال بحديثه لنسبة الكتاب الى الزجاجي.

غير ان النص المشار اليه اعلاه يحتمل قراءة اخرى لا تدعو الى تقدير كلام ساقط، فيعود الضمير حينئذ في قوله: «غيره» الى الزجاجي لا الى نحوي آخر، فكأنه

---

(١) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٧.
(٢) وضعنا خطا ليس في الاصل.
(٣) حروف المعاني، ص ٤٠.
(٤) حروف المعاني، ص ٤٠، حاشية رقم ٦.

قال: «وقال غير الزجاجي». وعلى ذلك يتم الانتقال كما يلي:

يبدأ الكتاب بقوله:

«قال ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي»(٢)

ويستمر الكلام للزجاجي حتى قوله:

«وقال غيره»(٢)

الذي يشير الى ان الكلام الذي يلي هذا القول منقول عن مؤلف آخر غير الزجاجي، فتكون عبارة: «وقال غيره» من الناسخ لا من المصنف. وهي عبارة تؤكد ما جاء في عنوان المخطوط من قوله ان الكتاب للزجاجي «ولغيره».

ان هذه القراءة الثانية للنص تجعل الكلام مستقيما دون تقدير سقوط فيه، ولا يصح التقدير الا اذا دعت اليه ضرورة. ثم ان تقدير سقوط جزء من النص كان الزجاجي فيه ينقل قول احد النحاة ثم انتقل الى ذكر قول غيره، يعني ان الباب ليس له، وهو باب طويل يستغرق نحوا من عُشر الكتاب المطبوع(٣). أفليس غريبا حقا ان يغيب الزجاجي ـ مؤلف كتاب «اللامات» ـ في باب «اللام»، وان يدرس معاني الحروف درسا مختصرا حتى اذا وصل الى باب «اللام» خصص له جزءا هاما من كتابه، لا ليقول فيه ما يراه، بل لينقل فيه ما قاله غيره من النحاة؟

ب ـ الدليل الثاني:

جاء في كتاب حروف المعاني:

«اللامات المعنوية في الكلم على ثلاثة أقسام: متحرك لا يجوز اسكانه، ومتحرك يجوز اسكانه، وساكن يجوز تحريكه.

فالقسم الاول على ضربين: مفتوح ومكسور. والمفتوح على وجهين: اصلي، وفرعي.

---

(١) حروف المعاني، ص ١.
(٢) حروف المعاني، ص ٤٠.
(٣) حروف المعاني، صص ٤٠ ـ ٤٧.

والاصلي على ستة اضرب : الأول لام الابتداء الخ(١).

أما في كتاب اللامات فيقول الزجاجي : «اللامات احدى وثلاثون لاما : «لام اصلية ـ لام التعريف ـ لام الملك ـ لام الاستحقاق ـ لام كي ـ لام الجحود ـ لام إنَّ ـ لام الابتداء ـ لام التعجب ـ لام تدخل على المقسم به ـ لام تكون جواب القسم ـ لام المستغاث بـ ـ لام الامر ـ لام المضمر ـ لام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف اليه ـ لام تدخل في النداء بين المضاف والمضاف اليه ـ لام تدخل في الفعل المستقبل لازمة في القسم ولا يجوز حذفها ـ الخ(٢).

فأنت ترى من مقارنة ما جاء في الكتابين أنّ معيار التصنيف ليس واحداً. فالزجاجي في كتاب اللامات يسرد انواع اللامات سردا لا تبويب فيه، وانما يذكر اسماءها واحدة فواحدة. على ان في باب «اللام» في كتاب حروف المعاني تبويبا وتفريعا غريبين عن منهج الزجاجي في التأليف. وهذا التبويب وهذا التفريع اشبه بعمل نحوي متأخر منه بعمل الزجاجي او من هو في طبقته. وبعيد ان ينقل الزجاجي هذا العمل المبوب المفرع عن شيخ من أشياخه، او عن نحوي من النحاة المتقدمين، فهم ابعد منه عهدا بهذا التبويب وهذا التفريع.

٣ ـ الزيادات التي بين حاصرتين :

اعني بهذه الزيادات التعليقات التي وجدها محقق حروف المعاني في حواشي المخطوط، فأدخلها في متن الكتاب بين حاصرتين لانها ـ كما يقول ـ :

«بخط الناسخ وبالمداد نفسه ويقتضي تمام المعنى ان تكون ضمن متن الكتاب»(٣).

أما ان بعض حواشي المخطوط بخط الناسخ وبالمداد نفسه فأمر لا ننازعه فيه، واما المنازعة ففي ما زعمه من أن تمام المعنى يقتضي ان تكون ضمن متن الكتاب.

---

(١) حروف المعاني، صص ٤٠ ـ ٤٧.
(٢) كتاب اللامات، صص ٣ ـ ٥.
(٣) مقدمة حروف المعاني، ص ٥١

وأنا ازعم ان هذه الحواشي لغير الزجاجي، فمثلها كمثل باب «اللام»، وكمثل باب «دخول بعض الصفات مكان بعض»، بل ان امرها اوضح لانها جاءت في حاشية المخطوط وتلك جاءت في متنه. وليس صحيحا ان السياق يقتضي ادخال هذه الحواشي في المتن وان المعنى لا يتم الا بها، لانها ـ في غالب الاحيان ـ لا تقدم جديدا، فهي اما ان تضيف شاهدا لا نفع له سوى في تكثير شواهد النص، واما ان تتحدث عن حرف درس في مكان سابق، واما ان تضيف شرحا قد يخل بالسياق ويفسده. وقد تتبعت هذه الزيادات في الكتاب المطبوع فوجدت ان حذفها لا يخل بمتنه، بل يجعله اكثر انسجاما واتساقا. واليك مواضع هذه الزيادات:

أ ـ عقد الزجاجي باب لـ «لو» و «لولا» في كتاب حروف المعاني(١). فاذا حذفت ما اضافه محقق الكتاب بين حاصرتين مما وجده في حواشي المخطوط، وجدت المتن الذي في كتاب الجمل للزجاجي(٢) بشروحه وتسلسله وشاهده، واستقام قوله متابعا في حروف المعاني «وكذلك لوما، والا، وهلّا».

ب ـ درس المؤلف «أو» في حروف المعاني(٣). وبعض شواهد هذا الباب موجود في كتاب الجمل(٤). وقد اضيف هذا الحرف في مكان آخر من حاشية كتاب حروف المعاني . وقد جاء في متن المخطوط ان «أو» تكون شكا، وتكون تخييرا، وتكون للاباحة، وتكون صرفا، وتكون غاية بمعنى «حتى»، وتكون:

«اضرابا بمنزلة «بل»، نحو قوله تعالى: «أو يزيدون»(٥)

وتجيء في شواذ الشعر بمعنى الواو.

أما في حاشية المخطوط فقيل عنها انها تكون بمعنى التخيير، وتكون بمعنى «بل»، «وتكون بمعنى الابهام، كقوله تعالى «[. . . . .]» وارسلناه الى مائة الف او

---

(١) حروف المعاني، صص ٣ ـ ٥.
(٢) الجمل، ص ٣١١.
(٣) حروف المعاني، صص ٥٠ ـ ٥٣.
(٤) الجمل، ص ١٨٦.
(٥) سورة الصافات (٣٧)، الآية ١٤٧

يزيدون»

فكررت الحاشية معنيين من معاني «أو» التي وردت في المتن، وجعلت «ابهاما» ما كان في المتن «اضرابا» بمنزلة «بل»(١) في قوله تعالى: «أو يزيدون».

ج ـ درس المؤلف «على» في حروف المعاني(٢)، فقال عنها انها تكون اسما وفعلا وحرفا، وتجيء في مكان «من»، وتقع بمعنى «عند». ثم قيل عنها في موضع آخر(٣) انها لاستعلاء الشيء، واحيل على الموضع الأول فقيل: «وقد ذكر كونها اسما وحرفا وفعلا متقدما». أما في حاشية المخطوط فقد جاء في اثناء الحديث عن «الى»:

على بمعنى «منذ» ـ بمعنى «الى»، حسن، قول الشاعر [كذا]. . .»(٤)

د ـ جاء في متن الكتاب في باب «عن»:

«عن» مكان «على»: قال ذو الاصبع [. . .]

«عن» مكان «بعد»: منه [. . .]

«عن» مكان «من اجل»: قال لبيد [. . .]

ثم اضيف من حاشية المخطوط ما يكرر هذه المعاني، فقيل:

«عن» مكان «بعد»: كقوله [. . .]

وتستعمل بمعنى «اللام» نحو [. . .]

وبمعنى «على» كقوله [. . .](٥)

هـ ـ جاء في متن المخطوط في باب «مِن» انها تكون لابتداء الغاية، وتكون للتبعيض، وتكون دالة على ان ما بعدها واحد في معنى جنس، وتكون دالة على ضرب من النعت، وقد تأتي بمعنى «الباء»،

«وقد توضع موضع «على» كقوله تعالى: «ونصرناه من القوم الذين كذبوا

---

(١) الابهام احد معاني «أو» عند البصريين، و «بل» احد معانيها عند الكوفيين. «ولا يجوز ذلك عند البصريين» (انظر معاني الحروف للرماني، صص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) حروف المعاني، ص ٢٣.

(٣) حروف المعاني، ص ٦٥.

(٤) حروف المعاني، ص ٧٥.

(٥) حروف المعاني، ص ص ٧٩ ـ ٨١.

بآياتنا»(١)، أي «على القوم»(٢)

ثم اضيف من حاشية المخطوط ما يكرر ذلك، فقيل:

«من» بمعنى «على». قال الله تعالى: «ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا». (٣)

و ـ جاء في المتن قوله:

«في» بمعنى «من» [...]

«في» بمعنى «مع» [...]

ثم اضيف من حاشية المخطوط ما يضيف الى هذه المعاني وما يكررها فقيل:

«في» بمعنى «الباء» [...]

«في» تكون بمعنى «نحو» [...]

وبمعنى «الباء» [...]

وبمعنى «الى»

وبمعنى «من» [...](٤).

ز ـ جاء في المتن بعد حديثه عن «اللام»(٥):

«الباء» بمعنى «على». قال عمرو بن قميئة

وقد اضيف بين حاصرتين من حاشية المخطوط ان «الباء»:

«بمعنى «على»: «لو تسوى بهم الارض»(٦)

وبمعنى «على» ايضا قوله تعالى: «ومنهم من ان تأمنه بدينار»(٧)، على دينار».

فاذا حذفت ما ادخل في المتن من حاشية المخطوط وجدت الحديث الباقي منقولا عن «ادب الكاتب» لابن قتيبة.

---

(١) سورة الانبياء (٢١)، الآية ٧٧.

(٢) حروف المعاني، ص ٥٠.

(٣) حروف المعاني، ص ٨٢.

(٤) حروف المعاني، صص ٨٢ ـ ٨٤.

(٥) حروف المعاني، صص ٨٥ ـ ٨٧.

(٦) سورة النساء (٤)، الآية ٤٢.

(٧) سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٥.

تلك هي الزيادات التي اخذها محقق الكتاب من حواشي المخطوط، فأدخلها في المتن، وهي ليست من صلب الكتاب في شيء، بل تشرك في الكتاب مؤلفا رابعا كان يعلق عليه.

ثانيا : في تحقيق عنوان الكتاب:

يقول محقق «حروف المعاني في تحقيق عنوان الكتاب:

«ذكر بعض من ترجم للزجاجي» ان له كتابا اسمه: «معاني الحروف» وفي ذلك تحريف.

فعنوان الكتاب الصحيح: «حروف المعاني»، يؤكد ذلك ما جاء في ورقة العنوان التي قبل الورقة الأولى من المخطوطة، اذ جاء فيها:

«كتاب فيه حروف المعاني لأبي اسحاق الزجاجي ولغيره» وجاء في آخر المخطوطة: «تمّ كتاب حروف المعاني والصفات» فقد ذكر ـ كما نرى ـ في موضعين ان اسمه كتاب «حروف المعاني» لا معاني الحروف.

وقد ذكره بروكلمان وغيره باسم «حروف المعاني». كما نبه الدكتور مازن المبارك الى ذلك، وهو ـ كما ذكر ـ خطأ، قد يقع في فهارس المكتبات العامة، فيقع بعض المترجمين فيه»(١).

ان لجوء محقق كتاب «حروف المعاني» الى تنبيه الدكتور مازن المبارك في غير محله، فهو يوحي بأن المبارك يتبنى وجهة نظره في عنوان الكتاب. فاذا رجعت الى ما ذكره مازن المبارك في تحقيقه لكتاب الايضاح في علل النحو للزجاجي(٢) والى ما كتبه عن «الزجاجي، حياته وآثاره»(٣)، وجدت انه يسمي الكتاب «معاني الحروف» لا «حروف المعاني»، وانه لم يقصد في تنبيهه المشار اليه اعلاه ما توحي به العبارة الملبسة لمحقق كتاب حروف المعاني، وانما يقصد به الخلط بين الزجاج والزجاجي، اذ نسب

---

(١) مقدمة حروف المعاني، صص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) الايضاح في علل النحو، ص ٧.

(٣) الزجاجي، حياته واثاره، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٣٤، ص ٦٠٢

كتاب «فعلت وافعلت» الى الزجاجي، وهو من تصنيف الزجاج. ولا علاقة لتنبيهه بعنوان كتاب الزجاجي، انما هو تلفيق محقق كتاب حروف المعاني بين موضوعين: أولهما نسبة الكتاب، وثانيهما عنوانه.

اما قوله:

«وقد ذكره بروكلمان وغيره باسم «حروف المعاني»(١).

فلنا عليه ملاحظتان:

أولاهما انه لا يسمي أحدا غير بروكلمان. وكان حريا به ـ في موضع نزاع كهذا الموضع ـ ان يسمي اصحاب التراجم الذين ذكروا ذلك. وربما قصد بقوله: «وغيره» بعض من ترجم للزجاجي في زماننا هذا، لأن كتب التراجم القديمة كالفهرست لأبن النديم (٣٨٦هـ. / ٩٩٥م.) ومعجم الأدباء لياقوت الرومي (٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١هـ/١٢٨٢م) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٨٧٣هـ/١٤٦٩م)، وبغية الوعاة للسيوطي (٩١١هـ/١٥٥م)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) وشذرات الذهب لابن العماد (١٠٨٩هـ/١٦٩٢م) لم تذكر هذا الكتاب بين مصنفات الزجاجي. والوحيد الذي ذكره من الاقدمين ـ فيما اعلم ـ هو ابن خير (٥٧٥هـ/١١٨٠م) في فهرسته(٢)، وقد ذكره باسم «معاني الحروف» لا باسم «حروف المعاني». وقد اشار الى ذلك محقق كتاب حروف المعاني في احدى حواشيه(٣)، ولكنه إعتبر ذلك تحريفا في عنوان الكتاب.

وثانيتهما ان كلام بروكلمان يدل على انه رجع في تسميته للكتاب الى المخطوط الذي اعتمد عليه الدكتور الحمد في تحقيقه، فأخذ ما جاء في ورقة العنوان. ولذلك نسب الكتاب الى الزجاج ثم الى الزجاجي(٤).

---

(١) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٥

(٢) فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه، ص ٣١٩

(٣) مقدمة حروف المعاني، ص ٤٥، الحاشية رقم ١

(٤) تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، ص ١٧٢ ـ ١٧٥

وقد رجع فؤاد سيزكين الى المخطوط نفسه في ترجمته للزجاجي(١) فسمى الكتاب: «حروف المعاني والصفات» وفاقا لما جاء في آخر المخطوط من قوله: «تم كتاب حروف المعاني والصفات»(٢).

وما ذكره بروكلمان شبيه بما ذكره سيزكين. وهو لا يشكل دليلا اضافيا يمكن لمحقق الكتاب ان يعتمد عليه في تأييد وجهة نظره، لأن كلام المؤلفين منقول عن المخطوط الذي اخرجه محقق الكتاب، فالدليل واحد لأن المصدر واحد، وتعدد الناقلين عن المصدر الواحد لا يكثر الادلة.

ان جميع الذين سموا الكتاب «حروف المعاني» رجعوا الى مخطوطة «لالي ٣٧٤٠» بصورة مباشرة، او بصورة غير مباشرة نقلا عمن رجع اليها. اما الذين سموا الكتاب «معاني الحروف» فقد رجعوا الى ما ذكره ابن خير الاشبيلي في فهرسته بصورة مباشرة، او بصورة غير مباشرة.

نحن اذن امام دليلين لا ثالث لهما حتى الآن: ما جاء في ورقة عنوان المخطوط، وما جاء في فهرسة ابن خير. ولا مفر من الاعتراف باننا لو تركنا دون دليل ثالث لتساوى الدليلان عندنا، وربما رجح الدليل الأول فهو لعمري دليل قوي. وما كان لما ذكره ابن خير في فهرسته ان يبطله الا اذا عثر على ادلة اخرى تسمح بالقطع او بغلبة الظن. وقد وجدنا في متن الكتاب دليلين قويين يعززان قول ابن خير، ويبعثان على الاعتقاد بأن عنوان كتاب الزجاجي «معاني الحروف». اما الدليل الأول فمأخوذ من ظاهر كلام المصنف، واما الدليل الثاني فمستخرج من مادة الكتاب ومن طريقة المصنف في شرحها:

١ ـ الدليل الأول:

يبدأ المصنف كتابه بخطبة قصيرة هذا نصها:

«قال ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي رحمة الله عليه:

---

(١) Geschichte des arabischen schrifttums ، الجزء التاسع، ص ٩٤.

(٢) حروف المعاني، ص ٨٧

اما بعد، حفظك الله وهدانا واياك للسداد، ووفقنا واياك في ما نحاول دينا ودنيا للرشاد، فانك سألتني ان اضع لك كتابا اشرح لك فيه جميع معاني الحروف(١) وعلى كم وجه يتصرف الحرف منها، فأجبتك اليه، واحسنت عونا عليه»(٢).

فالكتاب في «معاني الحروف» كما يدل عليه ظاهر كلام المصنف في خطبته. وقد استعان محقق الكتاب بهذه الخطبة في تحقيق نسبة الكتاب الى الزجاجي، كما استعان بها في شرح مادة الكتاب، الا انه اهملها حين وصل الى مسألة تحقيق العنوان، بل انه لم ينتبه - فيما يبدو - الى الفارق بين «معاني الحروف» و «حروف المعاني» حين نقل خطبة الكتاب في اثناء شرحه لمادته، فقال:

«مادة الكتاب:

يعبر اسم الكتاب عن مضمونه، فقد اسماه مصنفه «حروف المعاني» وجاء في آخره: «تم كتاب حروف المعاني والصفات».

وجاء في خطبة الكتاب: (...) اما بعد، فانك سألتني ان اضع لك كتابا اشرح لك فيه جميع معاني الحروف(٣). (...) بين المصنف انه وضع الكتاب استجابة لسؤال سائل طلب منه وضع كتابا يشرح فيه معاني الحروف(١)، فالتزم ذلك، ووضح المعاني التي يؤديها كل حرف على حدة»(٤).

فأنت ترى ان مضمون الكتاب في معاني الحروف، ولا يستقيم ان يقال ان اسم الكتاب يعبر عن مضمونه إنْ سماه مصنفه «حروف المعاني». ولو ان محقق الكتاب انتبه الى هذه المسألة لسمى الكتاب «معاني الحروف» وفاقا لما جاء في مقدمة المخطوط. كيف لا وهو يوافق ميرى عبودي فتحي في قوله عن مسألة تحقيق عناوين المخطوطات انه عند اضطراب العناوين

---

(١) وضعنا خطا ليس في الأصل.
(٢) حروف المعاني، ص ١
(٣) وضعنا خطا ليس في الأصل.
(٤) مقدمة حروف المعاني، ص ٢١

ف«العنوان الأكثر صحة هو الذي يكون في المقدمة، ولا يمكن الشك فيه»؟(١).

٢ ـ الدليل الثاني:

اما الدليل الثاني، وهو وثيق الصلة بالدليل الأول، فيستخلص بعد انعام النظر في مادة الكتاب. فقد بر المؤلف بوعده، فاجاب السائل الى ما سأله من شرح معاني الحروف. وهو في شرحه للحرف يصرف همه الى معناه. فان اشار احيانا الى عمله فذلك استطراد، وخروج عن منهج الكتاب. ولذلك فلا حديث فيه عن حروف الابتداء، ولا عن حروف النصب ولا عن حروف الجزم الخ. مما نجده في كتب النحو وفي كتاب الجمل للزجاجي نفسه.فالمؤلف يقصر كتابه على درس معاني الحروف لا على درس حروف المعاني. عنيت بذلك انه لا يتناول من الحروف الا جانبا واحدا من جوانبها، هو درس معانيها. اما الجوانب الأخرى التي يهتم بها النحاة من إعمال أو إهمال او الغاء، ومن تقديم او تأخير او توسيط، فليس لها سوى حضور باهت في الكتاب. والامثلة على ذلك كثيرة، نذكر ثلاثة منها، ونترك الباقي لتجنب الاطالة، ولأن في ما نذكره كفاية:

أ ـ المثال الأول:

جاء في كتاب حروف المعاني:

«كان(٢): عبارة عن حدوث الأفعال المنقضية كقولك: «خرج زيد، فتقول: قد كان ذلك(...)

---

(١) مقدمة حروف المعاني، صص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) في حروف المعاني «سبع وثلاثون ومائة اداة (انظر المقدمة، ص ٤٤) بينما لا يتجاوز عدد حروف المعاني في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الانصاري (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، وهو من اكثر الكتب شمولا واتساعا في هذا الموضوع، تسعة وتسعين حرفا. وسبب ذلك ان الزجاجي يدرس في كتابه غير ما اصطلح النحاة، ومنهم الزجاجي نفسه، على تسميته «حروف المعاني» ففيه، على سبيل المثال لا الحصر، «كل» وهي اسم في الجمل (صص ٦١ ـ ٦٢)، و «صه» و «مه» وهما اسمان في الايضاح (ص ٥١)، و «نعم» و «بئس» وهما فعلان في الجمل (صص ١٠٨ ـ ١٠٩)، و «امام» و «بين» وهما ظرفان في الجمل (ص ٦١). فالزجاجي لا يتناول في كتابه حروف المعاني فحسب، بل الكلمات التي تشبه الحروف ايضا. وهذه الكلمات ـ في الغالب ـ وحدات جامدة لا تتصرف تصرف الأسماء والأفعال =

أمسى: لها وجهان: بمعنى استيقظ ونام (كذا) في الاكتفاء باسم واحد، فتقول: أمسى زيد، اي صار في وقت المساء. والثاني تطلب فيه الخبر، كقولك أمسى زيد عالما، أي أتى عليه المساء وهو عالم.

أصبح وأضحى: بمنزلة أمسى.

ظلَّ: معناه فعل الفاعل نهارا، الخ.(١) فهو كما ترى، لا يتحدث هنا الا عن معاني هذه الأفعال التي يسميها حروفا، وليس يعنيه فيها ما عدا ذلك مما تراه في كتابه: الجمل حيث يقول عنها:

«ويجوز تقديم اخبار هذه الحروف عليها، وتوسيطها، لأنها متصرفة (. . .) واعلم ان كل شيء كان خبرا للمبتدأ فانه يكون خبر هذه الحروف (. . .) ولا تؤثر هذه الحروف في الجمل (. . .) فان جئت بعد المرفوع بخبر نصبته، وكان الخافض صلة له (. . .) وان جئت بعد اسم «كان» باسم هو بعض الأول كان لك فيه وجهان (. . .) واذا تقدم اسم «كان» عليها رفع بالابتداء. الخ(٢).

= اما «كان» ففعل متصرف، وقد ذكرها الزجاجي في كتاب الجمل في باب «الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار» (ص ٤١) فاعتقد هنري فليش لذلك ان الزجاجي يضع «كان» واخواتها بين الحروف» (Traite de philoIogie arabe) الجزء الثاني، ص ٦٠٠)، كما اعتقد ذلك من قبله السيوطي الذي قال:

«ذهب الزجاجي الى ان «كان» واخواتها حروف» (همع الهوامع، الجزء الأول، ص ١٠).

والصحيح انها عند الزجاجي فعل بدليل قوله في اعراب: «ما كان احسن زيدا» «ما» رفع بالابتداء، و «كان» فعل ماض في موضع خبر الابتداء، واسمها مضمر فيها، وما بعدها خبرها. فان اخرتها فقلت: «ما احسن ما كان زيد» فالوجه الرفع، والتقدير: «ما احسن كون زيد»، تكون «ما» مع الفعل بتأويل المصدر» (الجمل، ص ١٠٣).

فقد صرح بفعليتها في موضعين. اما ذكرها في باب «الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار» فربما كان ذلك لأنها اشبهت الحروف. (انظر: حسن حمزة Une grammaire arabe du X siecle : Le Kitab al Idah d'az - ZAGGAGI، ص ١٨٠ - ١٨٥).

(١) حروف المعاني، صص ٦ - ٧.

(٢) الجمل، صص ٤١ - ٥٠.

ان مقارنة ما جاء في «حروف المعاني» بما كتبه الزجاجي في «الجمل» تظهر بجلاء ان مادة الكتابين ليست واحدة، وان الكتاب الأول يقتصر على معاني الحروف.

ولا يقتصر الخلاف بين الكتابين على المادة فحسب، بل هو يتخطى ذلك الى عرض المادة المدروسة، والى طريقة تبويبها. وسنمثل لذلك في ما يلي:

ب ـ المثال الثاني:

يعقدْ الزجاجي في الجمل بابا «للحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر»(١) وهو باب شديد الشبه بسابقه، عنيت «باب الحروف التي ترفع الاسماء وتنصب الأخبار»، يجمع فيه «إنَّ» و«أَنَّ» ولكنَّ و«كأنَّ» و«ليت» ولعل». فيقول بعد ان يذكر معانيها:

هذه الحروف على اختلاف معانيها تنصب الاسم وترفع الخبر (. . .) وانما نصبت الاسم ورفعت الخبر لمضارعتها الفعل المتعدي (. . .) واعلم انه اذا كان خبر هذه الحروف حرف خفض او ظرفا جاز تقديمه على الاسم. الخ.»(٢).

فهذه الحروف ـ كما يقول الزجاجي ـ مختلفة المعاني. تفيد التوكيد والاستدراك والتشبيه والتمني والترجي. الا انها، على اختلاف معانيها، تشترك في انها «تنصب الاسم وترفع الخبر» ولذلك جمعت في باب واحد. فالمعيار معيار شكلي لا يهتم الا بحركة الاعراب.

اما في كتاب «حروف المعاني» فالمعيار معيار معنوي، واذا شئنا ان نكون اكثر احتراسا اكتفينا بحكم سلبي نلاحظ فيه غياب معيار شكلي، فينحل الرباط الذي كان معقودا في كتاب الجمل، ويتفرق ما كان مجتمعا فيه، فتدرس الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر مشتتة في مواضع متفرقة منه:

«إن: المشددة المكسورة. لها موضعان: تكون تحقيقا وصلة للقسم (. . .) وتكون

---

(١) الجمل، صص ٥١ ـ ٥٦.
(٢) الجمل، صص ٥١ ـ ٥٢.

بمعنى «أَجَل» فلا تعمل شيئا»(١).

أنّ : المشددة المفتوحة: تكون مع صلتها بمعنى اسم علم (كذا) يحكم عليه بالاعراب (. . .) وتكون بمعنى «لعل»(٢).

كأنّ : لها ثلاثة اوجه: تكون تشبيها وشكا وتكون مخففة(٣).

ليت : تمن(٤).

لعل: لها ثلاثة اوجه: تكون شكا وايجابا واستفهاما (. . .) ولها معنى رابع وهو الترجي(٥).

اما «لكنَّ» فلا يفرد لها مكانا خاصا بها، بل يدرسها مع «لكنْ» لان معناهما واحد، وهو معنى «استدراك بعد الجحود»(٦).

ج ـ المثال الثالث:

وعلى عكس ما في المثال الثاني، يجمع الزجاجي في كتاب «حروف المعاني« ما كان اشتاتا مفرقة في كتاب الجمل، فيجمع بعض حروف النفي التي تدرس مفرقة «على ابواب الاعراب»(٧) ممزقة شر ممزق في كتب النحو، فتتوالى في صفحة واحدة من كتاب حروف المعاني اربعة منها. يقول:

«لن : تنفي المستقبل، كقولك: «لن يخرج زيد غدا».

«لم : لنفي الماضي بالمعنى(٨)، كقولك : «لم يخرج زيد».

ليس : نفي للحال والاستقبال.

(١) حروف المعاني، ص ٥٦
(٢) حروف المعاني، صص ٥٦ ـ ٥٧.
(٣) حروف المعاني، ص ٢٨
(٤) حروف المعاني، ص ٥
(٥) حروف المعاني، ص ٣٠
(٦) حروف المعاني، صص ١٥ ـ ١٦.
(٧) انظر: ابراهيم مصطفى: إحياء النحو، صص ٣ ـ ٥.
(٨) وضعنا خطا ليس في الأصل

لا : نفي للمستقبل والحال، وقبيح دخولها على الماضي لئلا تشبه الدعاء. الا ترى انك لو قلت : «لا قام زيد» جرت كانك دعوت عليه؟»(١).

يبدو واضحا من خلال هذه الأمثلة ان المصنف لا يهتم بعمل الحرف، وانما يهتم بمعناه. وحديثه عن «لم» بالغ الدلالة على ذلك، فهو لا يتحدث عن جزمه للفعل المستقبل، بل عن نفيه «للماضي بالمعنى»، فدل على ان معنى المضي المنفي هو الذي يعنيه. ولو شاء الزجاجي ان يدرس حروف المعاني لا معاني الحروف لاستوقفته جوانب اخرى في حروف النفي كنصبها للفعل او جزمها له، وعلامات ذلك، وشروطه، ولا ستوقفه تصنيف اخر لهذه الحروف قريب من تصنيفه في كتاب الجمل، فَجَعَلَ:

لن : في باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة(٢).

ولم : في باب الحروف التي تجزم الأفعال المستقبلة(٣).

وليس : في باب الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار(٤)، وفي باب الاستثناء(٥)

ولا : في باب الحروف التي تجزم الأفعال المستقبلة(٦). وفي باب النفي بـ «لا»(٧).

ولكنه شاء ان يدرس معاني الحروف فسمى كتابه ـ كما ذكر ابن خير في فهرسته ـ «معاني الحروف». اما «حروف المعاني» الموجودة على ورقة عنوان المخطوط، فليس من الزجاجي ـ على ما نزعم ـ وانما هو من عمل الناسخ، او من عمل من جمع في المخطوط ما هو للزجاجي وما هو لغيره. ويعزز زعمنا قوله في اخر المخطوط:

---

(١) حروف المعاني، ص ٨
(٢) الجمل، ص ١٨٢
(٣) الجمل، ص ٢٠٧
(٤) الجمل، ص ٤١
(٥) الجمل، ص ٢٣٠
(٦) الجمل، ص ٢٠٧
(٧) الجمل، ص ٢٣٧

«تم كتاب حروف المعاني والصفات»(١)

فالتسمية ليست من الزجاجي لأن الصفة ليست من مصطلحاته(٢).

وعلى ذلك، فاننا نرى ان الكتاب المطبوع باسم «حروف المعاني» لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي يتضمن النصوص التالية:

١ ـ كتاب «معاني الحروف» لأبي القاسم الزجاجي، وهو النص الأساسي والعمود الفقري في الكتاب المطبوع باسم «حروف المعاني»، ويستغرق كتاب الزجاجي نحوا من سبعين بالمائة من الكتاب المطبوع.

٢ ـ باب «اللام» المنقول عن احد النحويين. وقد اشير اليه في متن الكتاب بعبارة: «وقال غيره»(٣) وهو يشكل نحوا من عشر الكتاب المطبوع.

٣ ـ «باب دخول بعض الصفات على بعض» و «باب دخول بعض الصفات مكان بعض» المنقولين عن كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة، وهما يشكلان نحوا من عشر الكتاب المطبوع.

٤ ـ تعليقات متفرقة في حواشي المخطوط ادخلها محقق الكتاب في متنه بين حاصرتين، وهي تشكل نحو من عشر الكتاب المطبوع.

هذه خلاصة ما رأيته في نسبة كتاب «حروف المعاني» الى الزجاجي، وفي عنوانه. ولا شك في ان العثور على نسخة من «معاني الحروف» للزجاجي أمر ضروري لاصلاح الخلل الواقع في الكتاب المطبوع.

حسن حمزة
جامعة النور / ليون٢
فرنسا

---

(١) حروف المعاني، ص ٨٧

(٢) ورد هذا المصطلح في أربعة من عناوين أبواب كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة، «باب دخول بعض الصفات على بعض»، و«باب دخول بعض الصفات مكان بعض»، و«باب زيادة الصفات»، و«باب ادخال الصفات واخراجها» (أدب الكاتب صص ٥٣٤ ـ ٥٥١ بتحقيق جرينر، وصص ٥٠٣ ـ ٥٢٥ بتحقيق الدالي).

(٣) حروف المعاني، ص ٤٠

المراجـــع

١ ـ المراجع العربية :

ـ كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة.

ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥١

ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

ـ ابن خير الاشبيلي : فهرسة ما رواه عن شيوخه، المكتب التجاري، بيروت، ومكتبة المثنى، بغداد، والخانجي، القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣.

ـ الرّماني: معاني الحروف، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ـ الزجاجي : الابدال والمعاقبة والنظائر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،

الايضاح في علل النحو، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الجمل في النحو، مؤسسة الرسالة (بيروت) ودار الأمل (اربد) الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

حروف المعاني، مؤسسة الرسالة (بيروت) ودار الأمل (اربد). الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

شرح مقدمة ادب الكاتب، مخطوط في دار الكتب المصرية، القاهرة،

رقم ٣٩ ش ادب. عنوان المخطوط: تفسير رسالة ابن سعيد في ادب الكاتب.

اللامات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

همع الهوامع، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ

- ابن العماد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠ - ١٣٥١هـ/١٩٣١ - ١٩٣٢م.

- ابن قتيبة: ادب الكاتب، تحقيق ماكس جرينر، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٠، مصورة بدار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. وبتحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- مازن المبارك: الزجاجي، حياته وآثاره، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٣٤، سنة ١٩٥٩م. صص ٢٥٦ - ٢٧٢ و ٤٣١ - ٤٤٦ و٦٠٢ - ٦٠٩، والمجلد ٣٥، سنة ١٩٦٠م صص ٦١ - ٧٨ و٣٣٤- ٢٤٤، وقد جمعت هذه المقالات في كتاب، دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

- مهدي مخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م

- ابراهيم مصطفى: احياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

- ابن النديم: الفهرست، ليبزيغ، ١٨٧١م.

- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م

- ياقوت الرومي : ارشاد الأريب الى معرفة الغريب، أو معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، الطبعة الثانية، ١٩٢٣م.

٢ - المراجع الاجنبية :

- FLEISCH Henri : **Traite de philologie arabe,** Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1961, 1979

- HAMZE Hassan : **Une grammaire arabe du X' siecle : le kitab al - Idah d'az ZAGGAGI** these de doctorat de 3'cycle, Vniversite de provence, 1983
: Les theories grammaticales d'az - ZAGGAGI these de doctorat d'Etat, Universite Lumiere/Lyon 2, 1987

- SEZGIN Fuat : **Geschichte des arabischen schrifttums, Lei - den, E. J. Brill, 1984**